

الحوار

مركز الحوار السوري
Syrian Dialogue Center

مصير محافظة إدلب والسيناريوهات المحتملة

تقدير موقف مبني على حلقة نقاش أقامها مركز الحوار السوري تحت نفس العنوان

<http://sydialogue.org/ar/news/38>

الثلاثاء ٢٤ ذي الحجة ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨/٩/٤ م

فهرس المحتوى

٢	مقدمة:
٢	أولاً: تعقيدات المشهد في إدلب:
٢	تحديات الوضع الإنساني وصعوبته:
٣	غياب الاستراتيجية الإعلامية:
٣	تداخل مناطق السيطرة العسكرية:
٤	الأهمية "الجيوسياسية" لإدلب بالنسبة لتركيا:
٥	أهمية استعادة إدلب بالنسبة لروسيا والنظام:
٥	موقف إيراني ضبابي:
٦	تأثير إدلب على الأمن القومي لأوروبا:
٧	تأرجح الموقف الأمريكي:
٨	ثانياً: التحركات الميدانية:
٩	ثالثاً: ملف هيئة تحرير الشام:
٩	رابعاً: سيناريوهات المستقبل:
١٠	(1) تفويض تركيا بملف إدلب مقابل ضمان مصالح روسيا:
١٠	(2) اندلاع مواجهة دون حسم عسكري:
١٠	(٣) إخضاع روسيا لمحافظة إدلب عسكرياً:
١١	خامساً - خاتمة:

مقدمة:

لم ينتج عن قمة طهران التي انعقدت بحضور الثلاثي الضامن لمحادثات استأنه (تركيا - روسيا - إيران) أي جديد فيما يتعلق بملف إدلب، حيث تمسك الرئيس التركي "رجب طيب أردوغان" برفض أي عملية عسكرية باعتبارها ستؤدي إلى كارثة إنسانية، معتبراً بأن الحل الوحيد هو تثبيت وقف إطلاق النار، في حين رأى الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" بأنه لا بديل عن "إلقاء السلاح واستسلام المسلحين".

وتوجهت روسيا بعد قمة طهران إلى مجلس الأمن، ودعت إلى جلسة لمناقشة نتائج القمة والأوضاع في إدلب عموماً، لكنها اصطدمت برفض تركي لهجومها العسكري، مع تأكيد تركي أوربي بأن الهجوم على إدلب يحمل في طياته تهديداً لأمنها القومي. وشهدت المنطقة على مدار الأسابيع الماضية تصعيداً عسكرياً روسياً، فقد قصفت الطائرات الحربية الروسية، والمروحية التابعة للنظام السوري مناطق واسعة بريف حماة (اللطامنة - كفرنبودة - قلعة المضيق-مورك)، وأيضاً ريف إدلب الجنوبي، والجنوب الشرقي انطلاقاً من الخوين ووصولاً إلى مدينة خان شيخون، إضافة إلى المناطق المحيطة بجسر الشغور. وسنستعرض من خلال هذه الورقة التي تم إعدادها على إثر حلقة نقاش عقدها "مركز الحوار السوري" بمشاركة من عدد من الباحثين والسياسيين والخبراء الوضع الميداني والإنساني في إدلب، والتعقيدات الدولية والمواقف والمصالح المتباينة، والتطرق إلى نقاش وضع هيئة تحرير الشام في المحافظة، واستشراف السيناريوهات المحتملة في المستقبل القريب، وما هو الراجع منها.

أولاً: تعقيدات المشهد في إدلب:

تحديات الوضع الإنساني وصعوبته:

يبلغ تعداد السكان الأصليين في الشمال السوري (محافظة إدلب - ريف حلب الغربي - ريف حلب الشمالي) حوالي ٢.٢ مليون، وأضيف لهم لاحقاً حوالي ١,٨ مليون من المهجرين قسراً من مختلف المناطق السورية في ريف دمشق وريف حمص ودرعا^١.

ويخشى المجتمع الدولي وبالأخص الدول المضيفة للاجئين السوريين وعلى رأسهم تركيا وألمانيا من أن تتسبب أي عملية عسكرية شمال غرب سوريا بكارثة إنسانية، الأمر الذي قد يدفع السكان إلى البحث عن أماكن آمنة وبلدان مستقرة للجوء لها، وفي حال اندفاع موجات اللجوء فسيكون من الصعب ضبطها والتحكم بها أو منعها مهما كانت الإجراءات مشددة.

وقد أدى التصعيد العسكري الروسي مؤخراً في ريف حماة، وجنوب شرق إدلب إلى نزوح قرابة ٤٠ ألف نسمة باتجاه شمال إدلب^٢.

^١ الأرقام بحسب عاملين في المجال الإغاثي شاركوا في حلقة النقاش حيث قدر "منسفو الاستجابة" عدد عموم السكان في إدلب وما حولها بـ ٣,٨ مليون.

^٢ وبحسب العاملين في "منسفو الاستجابة"، فقد بلغت أعداد النازحين من شمال حماة وجنوب شرق إدلب خلال حملة التصعيد الأخيرة إلى أكثر من ٤٠ ألف نسمة.

وتعمل المنظمات الإنسانية على تجهيز مخيمات قرب الحدود لإيواء النازحين بشكل مؤقت، وكذلك تتجهز للتعامل مع سيناريو توسع نطاق الغارات واستهدافها المركز للمدنيين^٣.

وتبدو تحديات الوضع الإنساني كبيرة في ظل تردي الوضع المعاشي للسكان الأصليين في منطقة إدلب، فضلاً عن الأعداد الكبيرة للمهجّرين إليها مؤخراً، وارتفاع نسبة المحتاجين إلى إعانة، مما يلقي على عاتق المنظمات الإنسانية مسؤوليات جسيمة في ظل تراجع التمويل والإمكانيات^٤.

وتسود مخاوف داخل المنظمات الإنسانية من عدم قدرة المؤسسات العاملة في مجال الأمن الغذائي والإيواء على تلبية الاحتياجات في حال توسعت الهجمات الروسية ضد المدنيين، وأدت إلى تصاعد النزوح الداخلي باتجاه مخيمات الإيواء المؤقت التي تم تجهيزها بطاقات استيعابية متواضعة بحسب الإمكانيات.

غياب الاستراتيجية الإعلامية:

تعاني المؤسسات الإعلامية المحلية الناشطة في الشمال السوري من غياب تنسيق الجهود، وعدم وجود خطاب إعلامي موحد، أو تبني سياسة إعلامية أو ميثاق مشترك.

وبحسب خبراء، فقد بالغت بعض المنابر الإعلامية في نشر التهديدات الروسية مما شكل نوعاً من الترويع غير المقصود، وقد عمدت وسائل الإعلام المحسوبة على النظام لشن حرب إعلامية والحديث عن قدوم تعزيزات ضخمة تبين لاحقاً أن غالب ما نشر من مقاطع وصور يعود لحقبة تجهيز الحملة على درعا^٥.

وليس من الواضح وجود هيئة أو مكتب تنسيق معني بالتواصل مع وسائل الإعلام الخارجية وتسهيل دخوله وتنقله، رغم وجود بعض المبادرات من نشطاء أو فصائل عسكرية، وادخالهم بعض وسائل الإعلام مؤخراً لتغطية التظاهرات الشعبية^٦. ولا يمكن إغفال الجوانب الإيجابية في النشاط الإعلامي من حيث كثرة العاملين على توثيق الانتهاكات الروسية وميليشيات النظام، وكذلك تنسيق العديد منهم مع وسائل إعلام عالمية ذات مصداقية وتتمتع بنسبة وصول عالية، كوكالة رويترز وفرانس برس ووكالة الأناضول^٧.

تداخل مناطق السيطرة العسكرية:

تتداخل مناطق السيطرة بين الفصائل العسكرية في الشمال السوري، وقد شكلت الجبهة الوطنية للتحرير مع فصائل أخرى غرفة عمليات مشتركة، تعمل على المساحة الممتدة من جبل عندان شمال غرب حلب، حتى جبل التركمان بريف اللاذقية،

^٣ أنظر تقريراً عن المساعي لتوحيد مختلف جهود المنظمات الإنسانية لمواجهة كافة الاحتمالات <http://cutt.us/ja3Y4>.

^٤ أفاد بعض الناشطين العاملين ضمن "منسقو الاستجابة" خلال حلقة النقاش التي أقامها "مركز الحوار السوري" أن قرابة ٦٠% من سكان إدلب الأصليين يرزحون تحت خط الفقر ويحتاجون لإعانة، والأمر ذاته ينطبق على ٨٠% من المهجرين، في حين أن المنظمات الإنسانية تعاني من نقص تمويل وانخفاض التبرعات لصالحها.

^٥ أنظر تقريراً لوكالة قاسيون حول تعزيزات النظام <https://qa-n.com/325zwomj>، وتقريراً يكشف عن استخدام النظام لصور وفيديوهات

قديمة للتعزيزات <http://cutt.us/FsPSS>.

^٦ بحسب ما أكده مصدر في الجبهة الوطنية للتحرير فإنهم سهّلوا دخول قناة "سي إن إن" الناطقة بالتركية، والقناة الرسمية الألمانية.

^٧ يوجد نشطاء سوريون يعملون كمصورين متعاونين مع تلك الوكالات.

وتم تقسيم وتوزيع المواقع الدفاعية بموجب هذه الغرفة، حيث كان لـ "الجبهة الوطنية للتحرير" نصيب الأسد من النقاط على اعتبار أنها تكتل ضم ١٥ فصيلاً بينهم فيلق الشام وأحرار الشام، ويقدر عدد مقاتليها بـ ٦٠ ألف مقاتل^٨.

وتصرُّ روسيا على مسألة "عزل المقاتلين المعتدلين عن المتشددين"، لكن استعراض خارطة السيطرة العسكرية والتداخل في المواقع بين مختلف الفصائل يشير إلى استحالة تحقيق هذا المطلب، وقد أشارت إيران إلى ذلك عندما تحدثت عن "حالة من الانسجام والاتصال بين المسلحين"^٩.

الأهمية "الجيوسياسية" لإدلب بالنسبة لتركيا:

ردت تركيا على زيادة التهديد الروسي بالهجوم على الشمال السوري بالتأكيد على الأهمية الكبيرة للمنطقة بالنسبة لها، حيث ربطت المنطقة المتاخمة لحدودها الجنوبية بالأمن القومي التركي، وذلك قبيل وخلال اللقاء الثلاثي الذي جمعها بإيران وروسيا في العاصمة طهران^{١٠}.

ويعتبر صانع القرار التركي أن تأمين محافظة إدلب وخاصة الشريط الواصل بين عفرين - جسر الشغور عبر جبال حارم ضرورياً جداً لمنع التمدد المحتمل لـ "الكيان الانفصالي" ووصوله إلى منفذ على البحر المتوسط، وبالتالي منعه من إيجاد منفذ إلى أوروبا لتصريف النفط المستخرج من إقليم كردستان العراق وشمال شرق سوريا.

ونشرت تركيا بعد جولة "أستانة" السادسة نقاط مراقبة ممتدة من جبل عقيل في ريف حلب الغربي، إلى سهل الغاب ومورك شمال وغرب حماة، سعياً لتأمين المكاسب التركية التي حققتها في عمليتي "درع الفرات" و "غصن الزيتون" الهادفتين لتقويض محاولات تمدد "قوات سورية الديمقراطية" التي تهيمن عليها "وحدات حماية الشعب" عن طريق تحقيق الاتصال بين مناطق سيطرة تلك القوات بين كل من مناطق شرق الفرات، و "كوباني" و "عفرين"^{١١}.

وبالتأكيد، فإن تركيا تتخوف من احتمال انتشار الفوضى على حدودها الجنوبية نتيجة تدفق النازحين الهاربين من العمليات العسكرية المزمعة، أو تعرضها لموجات لجوء جديدة قد لا تتمكن من منعها، وهو أمر غير مرحب به بالنسبة لأنقرة في ظل التداخليات الاقتصادية المتمخضة عن أزمة الليرة التركية وتدني قيمتها وارتفاع معدلات التضخم:

^٨ بحسب ما أفاد به أحد القادة العسكريين في الجبهة الوطنية للتحرير خلال حلقة النقاش التي أقامها "مركز الحوار السوري" فقد تم تقسيم المنطقة إلى ١٤ قطاعاً دفاعياً، ويوجد حوالي ٥٠٠ نقطة رباط، ٤٠٠ منها تابعة للجبهة، والـ ١٠٠ الباقي يتقاسمها باقي الفصائل.

^٩ تصريحات لـ "محمد إيراني" مساعد وزير الخارجية الإيراني حول تعقيد الواقع الميداني في إدلب <http://cutt.us/lwn2n>.

^{١٠} الرئيس "رجب طيب أردوغان" في تصريحاته خلال قمة طهران ربط ملف إدلب بالأمن القومي التركي <http://cutt.us/HrdKX>، وكذلك فعل زعيم الحركة القومية "دولت بهشلي" المتحالف مع الحزب الحاكم قبيل انعقاد القمة <http://cutt.us/5YsCi>.

^{١١} كما أفادت مصادر باستعداد "وحدات الحماية" للمشاركة في عملية إدلب ومواجهة تركيا خاصة في عفرين <http://cutt.us/9IFRr>.

وتدل تصريحات المسؤولين الأتراك المتكررة حول رغبتهم في "دفع الحل السياسي" و "الوصول إلى نظام حكم يمثل كل السوريين" على أن أنقرة غير راغبة بفقدان منطقة نفوذها في الشمال السوري، لأن ذلك سيحرمها من التأثير في صياغة الحلول النهائية في دولة جارة يرتبط استقرارها وأمنها القومي فيها^{١٢}.

أهمية استعادة إدلب بالنسبة لروسيا والنظام:

لاستعادة محافظة إدلب وما حولها أهمية إقتصادية وسياسية وعسكرية بالنسبة لروسيا والنظام السوري، حيث ترغب روسيا باستكمال ما بدأتها في ريف دمشق ودرعا من سيطرة على الطريق الدولي الممتد من مدينة أعزاز شمال حلب، وصولاً إلى معبر نصيب في درعا، باعتبار أن الطريق المذكور يمثل شرياناً إقتصادياً مهماً يحقق مدخولاً مالياً لخزينة النظام عن طريق ترسيم البضائع العابرة (ترانزيت) من أوروبا وتركيا إلى الأردن والخليج، بالإضافة إلى رغبة موسكو بالسيطرة على (جسر الشغور) بوابة الربط بين الساحل السوري والوسط والشمال^{١٣}.

ومن الناحية العسكرية، فلدى روسيا رغبة قوية بتأمين قواعدها في الساحل السوري، وخاصة "قاعدة حميميم" الجوية، التي تتعرض بشكل متكرر لهجمات من طائرات بدون طيار^{١٤}، كما أن وجود قرابة ١٠٠ ألف مقاتل غالهم من "الجيش الوطني السوري" و "الجمعة الوطنية للتحرير" في عموم الشمال السوري بما فيها مناطق "درع الفرات" و "غصن الزيتون"، وإمكانية تحركهم باتجاه مدينة حلب أو حماة في أي لحظة تهاجر فيها التفاهات مع تركيا، يعتبر مبعث قلق كبير بالنسبة لموسكو، وقد شهدنا خلال الأيام الماضية تلويحاً من قبل "الجيش الوطني" بالتحرك^{١٥}.

وتمثل المنطقة التي يقطنها قرابة ٣,٥ مليون نسمة، خزاناً بشرياً هاماً سيفيد روسيا كثيراً في سعيها لإعادة هيكلة المؤسسة العسكرية النظامية عن طريق "التجنيد الإجباري"، بما يساعدها على التخفيف من سطوة الميليشيات غير النظامية المرتبط غالها بإيران، كما يمثل إنهاء ملف إدلب تأكيداً للمزاعم الروسية حول انتهاء الحرب، وبداية عودة الاستقرار وضرورة عودة اللاجئين ودعم ملف إعادة الإعمار تحت كنف النظام من باب الاعتراف "بالأمر الواقع".

موقف إيراني ضبابي:

يمكن ملاحظة اختلاف النبرة الإيرانية في التصريحات حول إدلب بين المرحلة التي سبقت انعقاد قمة طهران، وخلال انعقاد القمة وما بعدها، حيث طالب وزير الخارجية "محمد ظريف" ب "القضاء على المسلحين" في المنطقة وضرورة فرض سيطرة الدولة عليها بالقوة قبل اللقاء الثلاثي^{١٦}، لينخفض سقف التصريحات الإيرانية بعد القمة الثلاثية وتركز على ضرورة إيجاد

^{١٢} أنظر تقريراً لموقع ترك برس عن آخر مستجدات الموقف التركي من الحل السياسي في سوريا <http://cutt.us/Gn1xB>، كما أكد "أمر الله إشر" المبعوث الخاص للرئيس التركي خلال مقابلة له على "تلفزيون سوريا" أنه لا خروج للقوات التركية من سوريا دون تحقق الاستقرار فيها <http://cutt.us/YpEQ5>.

^{١٣} وردت تصريحات منسوبة لمسؤول روسي يؤكد فيها سعيهم للتقدم باتجاه معرة النعمان الواقعة على طريق دمشق - حلب، وكذلك جسر الشغور الخاصة بفتح طريق دمشق - حلب الدولي <http://nedaa-sy.com/news/5054>، كما وردت تصريحات للرئيس الأسبق لوفد قوى الثورة العسكري إلى مباحثات أستانة حول المفاوضات <https://nedaa-sy.com/news/7403>.

^{١٤} وزارة الدفاع الروسي تؤكد تعرض قاعدة حميميم للاستهداف المتكرر <http://cutt.us/lywcQ>.

^{١٥} تصريحات للمقدم "محمد حمادين" حول استعدادهم للتحرك العسكري في حال تعرضت إدلب للهجوم <http://nedaa-sy.com/news/8332>.

^{١٦} تصريحات "محمد ظريف" <http://cutt.us/iSiJl>.

حل سياسي، وإعادة إدلب إلى سلطة الدولة دون حدوث كارثة إنسانية أو خسائر^{١٧}، كما سارع الرئيس الإيراني "حسن روحاني" خلال انعقاد القمة إلى تأييد مطلب الرئيس التركي "أردوغان" بوقف إطلاق النار على عكس "فلاديمير بوتين"^{١٨}، وصدرت لاحقاً تصريحات من وزير الخارجية الإيرانية تركز على "تجنب حمام الدم في إدلب"، وهو ذاته المطلب الذي تكررته تركيا^{١٩}.

وبحسب المعلومات الميدانية المتوفرة، فإنه لا حشود لحزب الله اللبناني، أو ميليشيات محسوبة على إيران في محيط إدلب وحماة، مما يرجح عدم مشاركة إيران وميليشياتها في الحشود الحالية ضد المعارضة في ادلب^{٢٠}. وترتكز إيران حالياً على تعزيز وجودها العسكري على الخط الواصل بين العراق والبحر المتوسط في بيروت، مركزة على وجود الميليشيات المرتبطة بها من دير الزور إلى منطقة حسياء بريف حمص، وكذلك في ضواحي دمشق باعتبار ذلك أولى حالياً من تحريكها إلى مناطق أخرى، وقد سعت إلى توطين الخارجيين من كفيريا والفوعة في منطقة حسياء وضواحي العاصمة. وعلى ما يبدو فإن الأولوية الإيرانية تركز حالياً على عدم إغضاب تركيا وسط العاصفة الدولية ضد الوجود الإيراني في سورية، في محاولة لاستمالة أنقرة لمواجهة العقوبات الأمريكية المفروضة على قطاع النفط الإيراني، إضافة إلى أن إيران لا تزال تعول على الموقف الأوروبي في الحفاظ على الاتفاق النووي.

وتشير المعطيات إلى أن خروج مسلحي كفيريا والفوعة مع عوائلهم من محافظة إدلب أعطى مؤشراً على قلة الاهتمام الإيراني بالمنطقة، خاصة وأنها دخلت في مفاوضات مع تركيا لاحقاً لتكرار التجربة في بلدي نبل والزهراء^{٢١}.

ولابد من الإشارة إلى أنه يصعب الجزم بالموقف النهائي لطهران حول الوضع في إدلب، على اعتبار أن إيران من أهم داعمي العمليات العسكرية للنظام السوري طيلة السنوات الماضية من خلال ميليشياتها المختلفة، ولطالما بقيت مواقفها متطابقة أو متقاربة مع الموقف الروسي في الملف السوري، على الرغم من ظهور تناقضات المصالح في الكثير من المحطات.

تأثير إدلب على الأمن القومي لأوروبا:

أعربت دول الاتحاد الأوروبي وعلى رأسها فرنسا وألمانيا عن مخاوفها من تعرض إدلب لهجوم روسي، وانعكاس ذلك على الأمن القومي الأوروبي^{٢٢}.

^{١٧} (مرجع مكرر) تصريحات مساعد وزير الخارجية الإيرانية حول ضرورة عدم وقوع كارثة إنسانية في إدلب، واختلاف وضعها عن باقي المحافظات <http://cutt.us/lwn2n>

^{١٨} تصريحات حسن روحاني عن ضرورة وقف إطلاق النار <http://cutt.us/f9V6b> .

^{١٩} تصريحات محمد ظريف حول ضرورة تجنب حمام الدم بإدلب

<http://nedaa-sy.com/news/8415>

^{٢٠} بحسب معلومات تم الحصول عليها من مصادر عسكرية في الجبهة الوطنية، فإنه لا توجد تعزيزات للميليشيات المرتبطة بإيران باستثناء قدوم كتيبة واحدة مؤلفة من ٢٠٠ مقاتل من الأفغان.

^{٢١} تقرير لصحيفة "يني شفق" التركية يشير إلى وجود مفاوضات مع إيران حول نبل والزهراء <http://cutt.us/5Kfml> .

^{٢٢} انظر تصريحات وزير الخارجية الفرنسية حول الهجوم على إدلب وتهديده للأمن القومي الأوروبي <http://cutt.us/koxjk> .

ولوحث ألمانيا برد عسكري في سوريا في حال تنفيذ هجوم بالأسلحة الكيماوية بالتنسيق مع الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا، رافضة بالوقت ذاته الحديث عن إعادة إعمار قبل تحقيق الانتقال السياسي^{٢٣}.

وتخشى الدول الأوروبية بشكل أساسي فيما يتعلق بملف إدلب من تعرضها لموجة هجرة لا تستطيع السيطرة عليها، كما أن عودة الشمال السوري إلى سيطرة النظام وميليشياته يعني استحالة عودة شريحة لا بأس بها من السوريين المقيمين في دول اللجوء، كالألمانيا وتركيا والسويد إلى بلادهم، خاصة بعد التسريبات الصادرة عن رئيس المخابرات الجوية للنظام عن وجود قائمة مطلوبين ضخمة من اللاجئين للأفرع الأمنية، وقد أيد هذا التخوف امتناع اللاجئين السوريين في الأردن من العودة إلى الجنوب السوري عقب الحملة الروسية ودخول النظام إلى درعا والقنيطرة^{٢٤}.

وقد سارعت ٨ دول أوروبية في مجلس الأمن إلى إعلان تأييدها الجهود التركية فيما يخص إدلب، وتبعها أيضاً دعم بريطاني للموقف التركي^{٢٥}.

تأرجح الموقف الأمريكي:

بدا الموقف الأمريكي مضطرباً ومتراحياً بعض الشيء، دون اكتراث كبير بشن عمليات عسكرية تقليدية في إدلب، رافضاً في الوقت نفسه أن تتطور الهجمات وتؤدي إلى كارثة إنسانية^{٢٦}.

وقد صعدت مندوبة الولايات المتحدة من لهجتها خلال جلسة مجلس الأمن الأخيرة، وأيضاً أبدا "جيمس جيفري" المبعوث الأمريكي الجديد إلى سوريا رفضه أي عملية عسكرية، معتبراً أنه "حتى في حال عدم استخدام السلاح الكيماوي فإن الهجوم على إدلب سيكون تهوراً".

وكان المبعوث الأمريكي الجديد إلى سوريا "جيمس جيفري" الذي يتبنى رؤية التنسيق مع تركيا للتأثير في الملف السوري وتحجيم النفوذ الإيراني، قد أجرى قبل عدة أسابيع زيارة إلى أنقرة وناقش معها الملف السوري، ومسألة احتجاز القس الأمريكي، ويمكن ملاحظة انخفاض التصعيد والسجلات الإعلامية بين أنقرة وواشنطن بعد الزيارة، حيث سيطر قبلها التوتر على أجواء العلاقات بين البلدين، وتطور الأمر لفرض عقوبات إقتصادية متبادلة أثرت سلباً على قيمة الليرة التركية.

ورغم ما تسرب عن تفاهات بين روسيا وأمريكا في قمة "هلسنكي" من أجل إخراج إيران وتركيا من سوريا، والحديث عن دور إسرائيلي في ذلك، لكن تعيين واشنطن لمبعوثها الجديد، ووضع لورقة من ٣ بنود أبرزها دفع عملية الانتقال السياسي، ومنع دخول ميليشيات النظام وإيران إلى شمال شرق سوريا، أدى إلى ترجيح توقعات بوجود خطة أمريكية جديدة في سوريا، يمكن أن تنسف تفاهات قمة "هلسنكي"، وقد دعمت تلك التوقعات بمؤشرات أخرى، كإيقاف ميليشيات "سوريا الديمقراطية"

^{٢٣} تصريحات وزير الخارجية الألماني حول دراسة خيار التدخل في سوريا <http://cutt.us/8bdnn>

^{٢٤} تصريحات وزير أردني حول امتناع اللاجئين السوريين من العودة إلى بلادهم <http://nedaa-sy.com/news/8274>

^{٢٥} أنظر الخبر في وكالة الأناضول: [٨ دول أوروبية تؤيد جهود تركيا لتجنيد إدلب كارثة إنسانية](http://cutt.us/W6apZ).

^{٢٦} تصريحات رئيس هيئة الأركان الأمريكية وتأييده لعمليات محدودة النطاق في إدلب <http://cutt.us/W6apZ>

لتفاوضها بشكل مفاجئ مع النظام السوري، وسط أنباء عن استقدام منظومات دفاع جوي أمريكية إلى قاعدة رميلان لفرض حظر طيران.

وعلى ما يبدو، فإن التوتر بين تركيا وروسيا حول ملف إدلب يعتبر فرصة مواتية للولايات المتحدة لتخفف من توتر علاقاتها بأنقرة.

ثانياً: التحركات الميدانية:

استقدمت روسيا تعزيزات عسكرية لـ"ميليشيات النمر" من منطقة الساحل ودرعا باتجاه الشمال السوري، وحشدت أيضاً ما يعرف باسم "قوات الطراميك" وهي قوات دفاع وطني تنحدر من ريف حماة، بالإضافة إلى العمل على حشد مقاتلين من الفصائل الجنوبية الداخلة في تسوية مع روسيا.

واصطحبت الميليشيات المختلفة معها إلى إدلب قرابة ٨٠ دبابة من طرازات مختلفة، و ١٢٠ آلية ومدربة وناقلة جند، وقرابة ٣٠ قطعة مدفعية ميدانية، و ٢٠ راجمة صواريخ، كما تم استقدام ٩ طائرات مروحية هجومية قادرة على حمل البراميل المتفجرة، وتمركزت في مدرسة المجنزرات شمال شرق حماة، ورافق ذلك تصعيد من قبل الطيران الحربي الروسي في شمال وغرب حماة، وجنوب شرق إدلب.

وعلى الرغم من هذه الحشود والتحركات الميدانية، فإن تقارير تتحدث عن عدم كفاية أعداد المقاتلين الحالية، في ظل غياب الميليشيات المدعومة إيرانياً، وقد تحدثت مصادر غربية عن وجود نقص في القوات البرية لدى النظام، وغياب الميليشيات الأجنبية عن معركة إدلب^{٢٧}، خاصة مع اضطراب النظام للاحتفاظ بعدد كبير لقواته على الحدود مع "إسرائيل" بعد سيطرته عليها من فصائل درعا والقنيطرة.

وعلى الجانب الآخر، فقد شكلت الفصائل العسكرية "غرفة عمليات مركزية في الشمال"، ووزعت المساحة الجغرافية على ١٤ قطاعاً، وبدأت عمليات حفر الخنادق وبناء التحصينات الهندسية على الخط الممتد من منطقة "قلعة الشلف" بريف اللاذقية، حتى جنوب شرق إدلب مروراً بمنطقة سهل الغاب بريف حماة، ونفذت هجمات صاروخية على معسكرات رئيسية في جورين وصلنفة، واستهدفت غرفة العمليات في مدرسة المجنزرات بالطائرات المسيرة مما أجبر المروحيات الرابضة فيها على الانسحاب^{٢٨}.

واستقدمت تركيا تعزيزات عسكرية ودفعت بعناد عسكري هجومي يتضمن دبابات ومدافع وراجمات صواريخ إلى نقاط المراقبة، كما زودت "الجبهة الوطنية للتحرير" بشحنات أسلحة تساعدها على الصمود لفترات طويلة^{٢٩}.

^{٢٧} تقرير لصحيفة دابلي بيست عن نقص أعداد المقاتلين لدى النظام السوري وغياب الميليشيات الأجنبية عن معركة إدلب <http://cutt.us/fCETG>.

^{٢٨} أنظر التقارير حول احتراق محيط معسكر جورين جراء قصفه بالصواريخ <http://cutt.us/pdE04>، وحول استهداف مدرسة المجنزرات من

قبل الجبهة الوطنية للتحرير <http://cutt.us/tDSj>.

^{٢٩} تقرير لوكالة رويترز عن تزويد تركيا لفصائل الشمال بالأسلحة

<http://nedaa-sy.com/news/8373>.

ثالثاً: ملف هيئة تحرير الشام:

يعتبر ملف "هيئة تحرير الشام" أحد أكثر الملفات وعورة وتعقيداً في المشهد شمال سوريا، حيث تتذرع روسيا بوجود تنظيمات مصنفة على قائمة الإرهاب وعناصر متشددة لتبرير عملياتها العسكرية، وتلجأ موسكو في كل مرة تريد فيها الضغط على تركيا لتذكيرها بأن إنهاء "التنظيمات الإرهابية" من مسؤوليتها.

وشهدت الأسابيع الماضية مفاوضات بين تركيا و "هيئة تحرير الشام" عبر وسطاء من أجل إقناعها بحل نفسها، والسماح لمقاتليها بالالتحاق بتنظيم عسكري آخر، وذلك لسحب الذرائع الروسية، إلا أن "الهيئة" تمسكت بالحفاظ على التنظيم وأبدت مرونة فقط للاندماج مع باقي المكونات ودخولها في الكيان الجديد ككتلة ولها نصيب في مقاعد القيادة^{٣٠}.

ومما يزيد المشهد تعقيداً انتشار "هيئة تحرير الشام" على بعض نقاط التماس مع قوات النظام السوري، وفي ظل التلويح بالعملية العسكرية الروسية فإن فصائل الشمال تسعى لتجنب أي مواجهة داخلية قد تؤدي لانحياز جهات القتال مع النظام .

ولاتزال الأمور ضبابية بما يتعلق بموضوع "الهيئة"، حيث رمت موسكو خلال جلسة مجلس الأمن الأخيرة الكرة في ملعب تركيا من أجل "الوفاء بتعهداتها وفصل المقاتلين المعتدلين عن المتشددين"^{٣١}.

ومن خلال تتبع الخطوات التركية منذ بدأ نشر نقاط المراقبة في إدلب قبل أكثر من عام، نلاحظ حرصها على استكمال توزيع النقاط مع تجنب الصدام مع "هيئة تحرير الشام"، وتفضيل أنقرة للحل التفاوضي من أجل اقناع "الهيئة" بحل نفسها، ويبدو أن أنقرة لا تريد الغوص في مواجهة عسكرية شاملة غير محسومة النتائج، بالتزامن مع التهديدات الروسية باقتحام إدلب.

رابعاً: سيناريوهات المستقبل:

ثمة مؤشرات ودلائل عديدة على أن موقف تركيا صلب فيما يتعلق بتمسكها بمحاظفة ادلب والدفاع عنها والبقاء فيها، ومن ذلك التصريحات الإعلامية العديدة للمسؤولين الأتراك، وإرسال التعزيزات الكبيرة إلى النقاط التركية، إضافة إلى الدعم التسليحي للفصائل بشكل كبير^{٣٢}.

بناء على الموقف التركي الصلب، والمواقف الدولية المؤيدة له كما تم شرحها، إضافة إلى عوامل القوة الذاتية الأكثر أهمية، يمكن استنتاج السيناريوهات المستقبلية لمصير المحافظة على الشكل التالي:

^{٣٠} موقع إخباري له صلات بهيئة تحرير الشام يقر بتعرض الهيئة لضغوط تركيا وتدخل وسطاء <http://cutt.us/i5U0j>

^{٣١} روسيا تحمل تركيا مسؤولية فصل المقاتلين المعتدلين عن المتشددين <http://cutt.us/tZ8z0> .

^{٣٢} مستشار أردوغان يؤكد بأنهم أبلغوا روسيا وإيران، بأن أي هجوم على إدلب هو هجوم على تركيا <http://nedaa-sy.com/news/8432>

١) تفويض تركيا بملف إدلب مقابل ضمان مصالح روسيا:

من المحتمل أن تتخلى روسيا عن فكرة العملية العسكرية، وتفوض تركيا بحل ملف إدلب، بحيث تتكفل أنقرة بإيجاد حل عسكري أو سياسي لـ "التنظيمات الإرهابية"، وتتولى مسألة ضبط السلاح الثقيل للفصائل "المعتدلة" لمنعها من شن هجمات مباغطة ضد قوات النظام في حلب وحماة وريف اللاذقية .

وعلى الأرجح فإن روسيا ستشترط مقابل تخليها عن العملية انتشار شرطتها العسكرية في مرتفعات اللاذقية الشمالية وسهل الغاب لتأمين محيط "قاعدة حميميم"، بالإضافة إلى حصولها على ضمانات بتأمين طريق دمشق - حلب الدولي.

وفي حال تحقق هذا السيناريو فإن "الفصائل المعتدلة" ستتولى عملية ضبط الأمن الداخلي، ومن غير المحتمل أن تتوغل ميليشيات النظام السوري في الشمال مع بقاء قوات النقاط التركية واستمرار الوضع على هذه الحالة حتى صياغة الحل النهائي في سوريا، ومن الممكن أيضاً أن نشهد عمليات مشتركة بين تركيا و الفصائل المتحالفة معها ضد بعض "التنظيمات المتشددة" لإنهاء وجودها وسحب الذرائع المتعلقة بها، في حال عدم التوصل إلى حل سياسي معها.

٢) اندلاع مواجهة دون حسم عسكري:

تدل مؤشرات عديدة على أن روسيا أّجّلت الهجوم على إدلب مؤقتاً، وأنها قد تدعم هجوماً لميليشيات النظام على المنطقة من عدة محاور في منتصف شهر تشرين الأول / أكتوبر^{٣٣}.

وتشير التحركات التركية الأخيرة، ودفعها بتعزيزات لنقاط المراقبة، وتزويد "الفصائل المعتدلة" بالسلاح، بأن المواجهة ستكون صعبة على جميع الأطراف ولا يمكن الجزم بنتائجها، خاصة وأن مصادر عسكرية تحدثت عن حصول الفصائل على أسلحة تساعدها على "قتال طويل الأمد"^{٣٤}.

وعلى الرغم مما يبدو من رجحان احتمال اندلاع المواجهات العسكرية، تبقى فرضية توسعها وطول أمدتها أمراً مستبعداً في ظل الرغبة الروسية - التركية بعدم الذهاب بعيداً في الصدام، إضافة إلى الموقف الدولي الراض لحدوث كارثة إنسانية، مما يرجح أن يعود الجميع إلى طاولة التفاوض بناء على موازين القوى لكل طرف.

٣) إخضاع روسيا لمحافظة إدلب عسكرياً:

يبقى هذا الاحتمال قائماً من الناحية النظرية على اعتبار أن الترسانة العسكرية الروسية قادرة على صنع الفارق، لكن فرص نجاحه على أرض الواقع قليلة جداً، وذلك بسبب انتشار ١٢ نقطة مراقبة تركية وتعزيزها خلال الفترة الأخيرة بأسلحة دفاعية وهجومية، والتلويح التركي بالرد على أي ضرر قد تتعرض له النقاط^{٣٥}، بالإضافة إلى وجود عشرات الآلاف من

^{٣٣} مستشار مجلس العلاقات الدولية الروسية توقع أن تبدأ العمليات خلال أسبوعين أو ثلاثة <http://cutt.us/2Ncaa>، كما يسود اعتقاد في أوساط غرفة عمليات الشمال المركزية بأن الهجوم على المنطقة لم يتم إلغاؤه، وإنما تأجل لشهر تشرين الأول.

^{٣٤} (مرجع مكرر) تصريحات لمصادر عسكرية في فصائل الشمال عن حصولهم على أسلحة من تركيا تساعدهم على قتال طويل الأمد

<http://nedaa-sy.com/news/8373> .

^{٣٥} وكالة رويترز تنقل عن مصادر عسكرية تركية تأكيدها بأنها سترد على أي هجوم تتعرض له نقاط المراقبة <http://nedaa-sy.com/news/8377> .

المقاتلين المتمرسين، وانضمام المقاتلين الراضين للتسوية، والوافدين من باقي المحافظة إلى مقاتلي الشمال، وسريان قناعة لدى الجميع بأنه لا خيار سوى المواجهة بعد انقلاب النظام وروسيا على اتفاقيات "المصالحة" في مناطق أخرى. وقد شنت الجبهة الوطنية للتحرير حملة خلال الشهر الماضي على مروجي "المصالحات" نتج عنها إلى الآن اعتقال أكثر من ١٠٠ متهم، مما يدل على جدية المواجهة وعدم التسليم للرؤية الروسية المشابهة لما حصل في درعا.

خامساً - خاتمة:

إن التعقيدات المتشابكة للأوضاع في الشمال السوري، وامتدادها للتأثير في الأمن الاقليمي والدولي، وبشكل خاص ارتباطها بالأمن القومي التركي والأوروبي سيمنع روسيا في الغالب من فرض رؤيتها كما كان الحال في سيناريوهات ريف حمص ودرعا، وسواء حصل تصعيد ثم عودة إلى طاولة المفاوضات، أو انتهى الأمر بتفويض تركيا بملف إدلب مقابل ضمان المصالح الروسية، على قوى الثورة والمعارضة أن تسارع إلى التلاحم مع الموقف الإقليمي الإيجابي من خلال المسارعة إلى تفنيد الذرائع الروسية المتعلقة بالتطرف والإرهاب، وتقديم نموذج حكم محلي رشيد مستدام من خلال التكامل والتوزيع في الاختصاصات المدنية والعسكرية والسياسية، ويمكن أن تسهم المظاهرات التي عمّت أنحاء الشمال السوري في الحشد الشعبي للبناء والتكامل المنشود.